مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد 07 العدد 02 أكتوبر 2021 ص- ص:205-221

الفكر التحرري والثوري عند أقطاب جمعية العلماء المسلمين، الشيخ العربي التبسي انموذجا.

Liberal and revolutionary thought among the leaders of the Association of Muslim Scholars, Sheikh LARBI TEBESSI as a model

أ.د/ لزهر بديده(*)	دة/ نجوى طوبال
قسم التاريخ-جامعة الجزائر02 أبوالقاسم سعد الله	قسم التاريخ-جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي
lazharbedida@yahoo.fr	nedjouatoubal604@gmail.com

تاريخ الاستلام: 25 /2021/04 **تاريخ القبول**:08 /2021/06 **تاريخ النشر**: 09 /2021/10

الملخص

ساد الاعتقاد لدى العديد من الباحثين والدارسين لتاريخ الجزائر المعاصر عموما وتاريخ الحركة الوطنية خصوصا، أن هذه الأخيرة منقسمة أو مقسمة وفقا لظاهر أدبياتها وأفكارها وبرامجها، وعليه تدرج هذه الحركة ضمن التيار الاستقلالي، والأخرى تنعت بالادماجية، وثالثة بالاصلاحية، وهكذا دواليك، وهذه التقسيمات والتصنيفات وإن كانت تحمل بعض الحقيقة، فإنها في الواقع و وفقا لكل المعطيات المتوفرة حتى الآن، تحتاج إلى مراجعة شاملة وإعادة نظر فيها، فهي غير سليمة وغير دقيقة، والتي تحمل الكثير من الإجحاف في حق بعض التيارات الوطنية وكذا في حق الكثير من الشخصيات الوطنية بمختلف درجاتها ومواقعها، لأننا وإن كنا لا نناقش المسار المتفق عليه بالنسبة لنجم شمال افريقيا ومن ثمة حزب الشعب والحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، نجد في أقوال وأفعال وأدبيات أطياف أخرى للحركة الوطنية، مؤسسات كانت أو أفراد، ما يدل دلالة قاطعة أن تلك الأطياف وأولئك الأفراد كل كان يعمل ويدعو في النهاية إلى التحرر من الاستعمار والثورة عليه، وفقا لصوراته وقناعاته.

غير أن فعل التحرر يحتاج إلى عمل قاعدي كثيف وسط مجتمع تعرض بفعل السياسة الاستعمارية، إلى التجهيل والتهميش والاقصاء، إضافة إلى التفقير والتهجير والتضييق عليه من كل جانب، فهو إذن يحتاج إلى جهد مضني لكي يصل إلى ادراك معنى التحرر والعمل بمقتض ذلك، وهو ما يعني بالنتيجة الثورة على المحتل لاسترجاع السيادة الوطنية.

الكلمات الدالة: جمعية العلماء، الجزائر، الحركة الوطنية، العربي التبسي، الاصلاح، الاستعمار، الحرية، الثورة.

* مؤلف المرسل.

Abstrac:	Many researchers in the history of the national movement believe that the latter is divided according to the manifestations of its literature, ideas and programs, therefore this movement falls within the independent current, the integrationist, orthereformism, and so forth. Although these classifications carry some truth, in reality, according to all the available data so far, they need a comprehensive review and reconsideration, as they are incorrect and inaccurate, which bears a lot of prejudice to the right of some national currents as well as the right of many personalities. Patriotism in its various degrees and locations, because although we do not discuss the path agreed upon with respect to the North African star, and from there the People's Party and the Movement for the victory of democratic freedoms, we find in the words, deeds and literature of other sects of the national movement, whether institutions or individuals, which indicates conclusive evidence that these sects And those individuals were all working and calling in the end for freedom from colonialism and revolution against it, according to his perceptions and convictions. However, the act of emancipation requires extensive grassroots work in a society that, as a result of colonial policy, has been subjected to ignorance, marginalization and exclusion, in addition to impoverishment, displacement and restrictions on it from all sides, so it requires painstaking effort to reach your meaning of liberation and act accordingly, which means As a result, the revolution against the occupier to regain national sovereignty.
Keywords:	Key words: Association of Ulema, Algeria, the national movement, Al-Tebbi, reform, colonialism, freedom, revolution.

1. مقدمة:

لعل أهم التيارات التي كان الكثير من قادتها وعلى جميع المستويات يؤمنون بالفعل التحرري من الاستعمار والثورة عليه، هي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فقد كان على سبيل المثال كل من بن باديس والابراهيمي والعقبي والورتلاني والتبسي ومزهودي وغيرهم لا يرون في العمل الاصلاحي وتوعية الناس وارشادهم وتنويرهم... إلا مقدمة أساسية وضرورية لجعل المجتمع الجزائري يتجه بوعي وعلى بصيرة إلى الثورة على الاحتلال الفرنسي والتحرر من

القيود التي فرضها على الجزائر والجزائريين منذ أن غيب الدولة الجزائرية ونكل بالمجتمع الجزائري، بكل ما للكلمة من معنى.

وإن كا المجال لا يتسع للوقوف عند أفكار التحرر والثورة عند جميع قيادات الجمعية منذ ظهورها وإلى غاية اندلاع الثورة الجزائرية في الاول نوفمبر 1954، فإننا نتوقف عند شخصية بارزة ومهمة سعت ودعت إلى التحرر من براثن الاستعمار منذ عشرينات القرن العشرين، وبدأت تدعو للوحدة بين الوطنيين والتحضير للثورة الشاملة على الاستعمار منذ العام 1945، وبقي على هذ النهج إلى غاية 1954، حيث كان من أوائل قادة الجمعية الملتحقين بالثورة التحريرية والداعين لها والعاملين على تجذيرها في الأوساط الشعبية.

ولمعالجة هذه الفكرة نطرح الاشكالية التالية، من هو العربي التبسي؟ وما هي أبرز معالم فكره التحرري والثوري؟ وكيف استطاع أن يجمع بين فعل الاصلاح والدعوة للثورة؟ وكيف كان يدعو لها، وما أبرز مآثره في الثورة ورد الفعل الفرنسي عليه؟

2. الفكر التحرري عند أقطاب جمعية العلماء

تجمع مخلف المصادر والمراجع الجزائرية والفرنسية منها أن جمعية العلماء المسلمين ومنذ ظهورها رسميا وعمليا في الخامس ماي من العام 1931، قد لعبت دورا سياسيا إلى جانب دورها التربوي والتوعوي، وهو ما أدى بسلطات الاحتلال الفرنسي إلى أن تضييق على عملها وتلاحق قياداتها [1].

لقد شكل العمل السياسي لجمعية العلماء أحد محاورها الأساسية، وهي لم تكن تخفي ذلك قولا أو عملا، فقد كانت الداعية للمتمر الإسلامي سنة 1936، وهو بغض النظر عن ما نتج عنه يُعد مؤتمرا سياسيا بامتياز، ومعروف ما نُقل عن الإمام بن باديس استعداده لإعلان الثورة على فرنسا حال ما دخلت هذه الأخيرة في حرب مع ألمانيا، ولعل هذا الموقف الجرئ في تلك المرحلة المتقدمة هو الذي دفع بسلطات الاحتلال الفرنسي إلى اعتقاله وسجنه، مخافة أن يجتمع الناس من حوله وحمل السلاح في وجه فرنسا المنشغلة حينها بمواجهة ألمانيا الهتلرية.

ومن الدلائل الواضحة والبيّنة على انغماس الجمعية وقيادتها في العمل السياسي ما كا يكتبه زعيمها الثاني الشيخ البشير الإبراهيمي على صفحات جريدة البصائر، ومن جملة ما قاله:" **أن وراء السياسة شيئا اسمه الكياسة، وهي خلق ضروري للسياسي، وأن السياسي الذي يحترم نفسهيحترم وغيره مهما خالفه الرأي ومهما كان الخلاف جوهريا، فإذا لزم النقد فلا يكون الباعث عليه الحقد وليكن موجها إلى الآراء بالتمحيص لا إلى الأشخاص بالتنقيص...** "[2].

هذه الرؤيا السياسية الواضحة لجمعية العلماء، والتي ترجمت إلى الميدان من خلال التواصل مع باقي أطراف التشكيلات الوطنية، والتصدي لساسية للاندماج ودعاتها ومحاربة العنصرية التي يغذيها الاستعمار ويستعملها سلاحا حادا لقطع أوصال الشعب الجزائري وغيرها من المواقف المتقدمة في مواجهة السياسة الاستعمارية، هي التي جعلت الإدارة الفرنسية تستنكر على الجمعية هذه المواقف وتعمل على التضييق عليها في شتى المجالات ومختلف المنابر[3].

إن مزاوجة الجمعية بين العمل التوعوي والسياسي، تهدف إلى تكوين جيل يؤمن بذاته و وطنه، واسترجاع ثقته بنفسه وإمكانياته، كمقدمة أسياسية لاسترجاع حريته وسيادته، وذلك من خلال الثورة الشاملة التي لا تتأتى إلا بالوحدة بين مختلف الأطياف الوطنية.

3. معالم الفكر التحرري عند الشيخ العربي التبسي

ولعل من أبرزز الشخصيات العلمائية التي حملت هذه الرؤية بكل ثقة و وضوح وعزم وإصرار، الشيخ المجاهد العربي التبسي، الذي بدأ ولوج عالم الإصلاح والسياسة مذ كان طالبا في جامع الزيتونة بتونس مطلع عشرينات القرن العشرين، فقد تأثر بحيوية وحركية المناضل الجزائري الأصل، عبد العزيز الثعالبي، الذي أسس "الحزب الدستوري الحر" في تونس، العام 1920، وكان التبسي واحدا من أنصار هذا الحزب الناشطين فيه والعاملين لصالحه [4].

كما شكل تواجد الشيخ العربي التبسي بمصر بداية من سنة 1921، بعد مغادرته لجامع الزيتونة، مرحلة، هامة جدا في حياته ومسيرته ، ففيها تأثر بالحركة الإصلاحية سواء التي

بدأت تظهر في مصر خصوصا أو المشرق العربي عموما، وربط علاقات وثيقة بزعماء الإصلاح والسياسة في هذا البلد، وفي القاهرة كان الشيخ التبسي من المؤسسيين لجنة الدفاع عن استقلال شعوب شمال إفريقيا، التي ظهرت في نهاية سنة 1921، والتي كان على رأسها الشيخ الخضر الحسين البُرجي(نسبة إلى برج بن عزوز ببسكرة) التونسي المولد و النشأة، الجزائري العروق والأصل [5].

وعندما ظهرت جرائد النجاح والشهاب في الجزائر، بدأ يراسلهما من القاهرة، منذ سنة 1924، ويكتب فيهما مقالات مختلفة، تمس جوانب الإصلاح والسياسة والتربية، ولعل أهم المقالات التي كتبها كانت في سنة 1926، عندما تطرق في مقال حمل عنوان" **الجزائر تصيح بك أيها الجزائري أينما كنت**" خص به جريدة الشهاب، التي كانت في بداياتها، إلى مفهوم الوطن والوطنية، مؤكدا على أن العلاقة بين الفرد و وطنه هي علاقة معنوية ومادية، داعيا الجزائريين إلى التمسك بوطنهم، وهو التمسك الذي لا بديل عنه لإخراج الجزائر من دائرة الاحتلال الفرنسي [6].

4.تطور فكرة التحرر والحرية عند التبسي أثناء الحركة الوطنية

وبعد أن عاد إلى الجزائر سنة 1927، واستقر به المقام بمدينة تبسة، راح ينشر أفكاره الاصلاحية والتحررية في أوساط الجماهير، الأمر الذي لفت انتباه السلطات الاستعمارية، والمعادين لحركة الإصلاح والتنوير، مما جعله محل متابعة وترقب، كانت نتيجتها التضييق على تحركاته ونشاطاته، فأشار عليه الشيخ عبد الحميد ابن باديس إلى التوجه إلى مدينة سيق بالغرب الجزائري، التي مكث بها، بين سنتي 1930 و1931، وفيها واصل جهوده التوعية والإرشاد [7].

وبالرغم انشغال الشيخ التبسي بالمهام الإدارية التي أُكلت إليه في الجمعية سنوات ثلاثينات القرن العشرين،إلا أنه عُرف بمقته للظلم والتسلط، وأنه كان يقول ما يراه ويعتقده صوابا، ولو كان أمام قيادات سلطات الاحتلال، ومن ذلك نورد الحادثة التالية: ففي إحدى المرات وقد كان برفقة الإمام ابن باديس في مكتب مدير الشؤون الإسلامية في الولاية العامة،

وما أن شرع ذلك المدير في شرحة وجهة النظر الفرنسية فيما ينبغي أن يقوم عليه الحل بخصوص مطالب الجمعية، حتى بادره الشيخ العربي التبسي دون ترجح بما معناه: " **أنت رجل مسيحي لا يجوز لك الحديث عن ديننا ولا عن ما ينبغي أن يكون عليه وضعه الإداري**"، وبحسب الرواية فقد وجم الرجل واصفر وجهه وأنه الاجتماع قائلا:" **لم يبق بيننا وبينكم مجال للحديث**"، ويُذكر أن الإمام عبد الحميد بن باديس علق عن هذه الواقعة بقوله للشيخ بلقاسم الزغداني، أحد إطارات جمعية العلماء: " **ما صدقت أننا خرجنا سالمين من دار الولاية العامة**" [8].

كما أن ظروف الحرب الإمبريالية الثانية، وما رافقها ما إجراءات إضافية استثنائية ضد الجزائريين، لم تمنع الشيخ العربي التبسي وبعض الوطنيين الآخرين من التحرك والنشاط والوقوف إلى جانب عموم الشعب الجزائري في تلك الظروف الصعبة، وهو ما لم يرُق الإدارة الفرنسية التي راحت تضيق الخناق على نشاط وتحركات الوطنيين، ومنهم الشيخ التبسي، غير أن هذا الأخير لم يأبه لتلك المضايقات و واصل نضاله وجهاده، وظهر هذا النشاط بشكل كبير خاصة بُعيد نزول الحلفاء فوق أرض الجزائر في الثامن نوفمبر 1942، وحينها كان يرى أن الفرصة أصبحت مواتية للجزائريين حتى يتمكنوا من استرجاع سيادتهم، خاصة وأن فرنسا الدولة أنهكتها ظروف الحرب، وبالتالي فهي ضعيفة وعاجزة، وقد يتحقق للجزائر وأهلها في ظل هذه الظروف ما لا يمكن يتحقق في ظروف غيرها [9].

هذه الوقائع المستجدة دفعت الشيخ التبسي إلى دعوة الأطياف الوطنية إلى التوحد خلف مطالب موحدة يكون تقرير مصير الشعب الجزائري على رأسها، و داعيا الحلفاء وممثليهم في الجزائر إلى الالتزام بالشعار الذي رفعوه و نادوا به و تطبيقه على الجزائر، الا وهو تقرير المصير، ولم يكتف بهذه الدعوة للحلفاء بل سعى ميدانيا إلى جمع صف القادة الجزائريين، فكان أن تواصل مع السيد محمد الأمين دباغين وعملا مع من أجل الالتقاء بالسيد فرحات عباس وجماعته، وأدت هذه الاتصالات والمشاورات إلى انبعاث فكرة البيان، ولما تخمرت الفكرة واقتنع بها الجميع، كان الشيخ التبسي من بين المساهمين في إثراء بيان الشعب الجزائري، من

حيث الأفكار أو التحرير، وقد ظهر البيان على تلك الصورة التي نعرفها في العاشر فيفري 1943، وهو في الظاهر والباطن يدعو إلى استرجاع السيادة الوطنية ، بما يعني تطبيق حق تقرير المصير على الجزائر وإلغاء الاستعمار وتزويد البلاد بدستور ومساهمة الجزائريين في تسيير شؤون بلادهم...[10]

ونظرا لكثرة نشاطاته وتحركاته وما تشكله من مخاطر على السلطة الفرنسية في الجزائر، وبغية إسكاته قامت تلك السلطات باعتقاله والزج به في غياهب السجون أُلقي القبض على الشيخ التبسي في عهد حكومة الجنرال جيرو، وعندما كان السيد بيروتون حاكما عاما للجزائر، وقضى في سجن لمبيز بمدينة باتنة، ستة أشهر بأيامها ولياليها، ولم يطلق سراحه إلا بعد توسط السيد فرحات عباس والشيخ البشير الإبراهيمي، لدى السلطات الفرنسية، وبعد أن أبلغاها استياء الجزائريين من هذا الاعتقال [11].

وبعد أن أخلت السلطات الفرنسية سبيله في نهاية عام 1943، عاد إلى مدينة تبسة، مواصلا عمله في ميداني التعليم والإصلاح، وبقي فيها حتى ربيع سنة 1945، حيث انتقل إلى مدينة قسنطينة التي اعتقل فيها في شهر ماي من السنة نفسها، ليودع مرة أخرى في سجون الاحتلال، والتي لم يخرج منها إلا في مطلع سنة 1946 [12].

سنوات السجن والتضييق، لم تثن الشيخ التبسي عن إبداء مواقفه وأراءه، خاصة لطلبة العلم الذين يعتقد فيهم القدرة على الأخذ بيد الجزائر والجزائريين إلى الثورة على المستعمر واسترجاع السيادة الوطنية، وهو ما نستشفه من شهادة أحد طلبة المعهد الباديسي، السيد أحمد الرفاعي شرفي، الذي التحق بهذا المعهد سنة 1948، إذ يسجل في شهادته أنه مع نهاية السنة الأولى استقبلهم الشيخ العربي التبسي مدير المعهد وأسدى لهم بمجموعة من الارشادات والنصائح مُلخصها " **أنتم جنود الله والوطن جندوا أنفسكم للاسلام والوطن حدثوا آباءكم وأقاربكم عن الاستعمار وظلمه فهذا واجبكم في عطلتكم فأنتم أمل شعبكم المسكين فلا تنشغلوا عن واجبكم بما يسر أعدء وطنكم ويغيض آباءكم** " [13].

ذلك هو ديدن الشيخ العربي التبسي، الذي مهووسا بمقارعة ومقاومة الاستعمار، وداعيا لوحدة الجزائريين، باعتبارها خطوة أولى لتحرر من قيود الاحتلال الفرنسي الجاثم على النفوس، منذ 1830، ومن هذا المنطلق فقد كان مساهما بفعالية في تأسيس الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها، في الخامس أوت 1951، بمعية قيادات في حزب الشعب الجزائري والإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والحزب الشيوعي الجزائري [14].

ولأن شخص للشيخ التبسي، معروف بمواقفه المناهضة لاحتلال الفرنسي، ومن سياسة تزوير الانتخابات في الجزائر التي كرسها الحاكم العام نايجلان منذ سنة 1948، فقد اختاره المجتمعون حول تأسيس هذه الجبهة، وضعوا ثقتهم فيه ليكون رئيسا لها، فقبلها رغم مسؤولياته التي أشرنا إليها، وأتاح له وجوده على رأس هذه الجبهة، فرصة أخرى، ليعبر عن أرائه وأفكاره، معتبرا السلطة الفرنسية في الجزائر مغتصبة للبلاد والعباد، وأنها منتهكة للحرية والديمقراطية [15].

ويكشف الشيخ التبسي عن مفهومه للحرية، في الخطاب الذي ألقاه بمناسبة الإعلان الرسمي عن تأسيس الجبهة الجزائرية في الخامس أوت 1951، وفي هذا الخطاب بيّن أن "**الحرية شيء مقدس سواء للفرد أو للأمة، وأن الدفاع عنها يتجاوز حدود الأجناس والأديان، وأن الكل معني بضرورة حمايتها والدفاع عنها**" [16].

وخلال تشيطه للتجمعات التي كانت تقيمها الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها، كشف أمام الجماهير عن مواقفه من إدارة الاحتلال الفرنسي، ومن دون مواربة أو تردد ذكر في الكلمة التي ألقاها في الملعب البلدي بحسين داي يوم الـ19 أوت 1951، أن الحكومة الفرنسية، مغتصبة للبلاد والعباد، وأنها بذلك تعدت على الحرية والديمقراطية [17].

غير أن فشل الجبهة في أن تكون تكتلا قويا ومتناسقا، ثم ذوبانها في منتصف سنة 1952، جعل من الشيخ العربي التبسي ييأس من العمل الحزبي في الجزائر، مؤكدا في الاستفتاء الذي أجرته جريدة المنار شهر فيفري من العام 1953، " **على أن التعددية الحزبية لا تجلب نفعا للبلاد، وإنما تساهم في إطالة عمر الاحتلال، وأن الوقت قد حان لتخرج**

الجزائر من الحالة التي هي عليها، وأن ذلك لن يتم في ظل تعدد وتصارع الأحزاب، وأن الإتحاد في الجزائر ضروري، لمواجهة الاستعمار، غير أنه إتحاد شعبي لا إتحاد حزبي، مذكرا بأن هذا هو الموقف الذي دعا إليه في سنة 1945" [18].

كما دعا الشيخ التبسي، الشعب الجزائري إلى تحمل مسؤولياته في هذا الشأن، وأن الخروج من الوضعية التي وصلنا إليها يجب أن يدفعنا إلى تجاوز الأحزاب السياسية، وأن يكون الشعب يدا واحدة حتى يثور على التواجد الفرنسي، وأن ثورة الشعب هي الكفيلة بأن تغير الحال في البلاد[19] .

هذه الفكرة التي تبناها الشيخ العربي التبسي، في مطلع سنة 1953، تبين مدى يأسه من العمل السياسي، وأمله في في تجاوز الخلافات الحزبية الضيقة والدعوة إلى مناهضة الظلم والاستعباد والاستبداد، وبالمقابل الحث على استرجاع الحرية والسيادة والتمسك بالوطن وهو ما يعني الثورة الشاملة على الاحتلال، وهذه الفكرة هي التي دعت إليها جبهة التحرير الوطني عندما أشعلت فتيل الثورة في الفاتح نوفمبر 1954.

5. الثورة وفكرة التحرر عند العربي التبسي

الحقيقة أن الوقوف عند العلاقة التي ربطت الشيخ التبسي بالثورة منذ الوهلة الأولى، تحتاج إلى بحث أو أبحاث مطولة، خاصة مع ما ظهر وقد يظهر من وثائق وشهادات حول تلك العلاقة، ومن باب التعريف المختصر لموقف الشيخ من الثورة، يمكن القول أن الروح الثورية التي تميز الشيخ التبسي، هي التي جعلته يجاهر بمساندته للثورة الجزائرية مباشرة غداة اندلاعها، داعيا الشعب الجزائري وقياداته السياسية والدينية على حد سواء، إلى ضرورة مؤازرة ومناصرة جيش وجبهة التحرير الوطنيين، ماديا ومعنويا، معتبرا أن ما قام به مفجري الثورة هو معركة الحياة الحقيقية [20].

واصفا من جهة أخرى، مجاهدي الثورة بأنهم رجال تململوا وتحركوا ودبت فيهم روح الحياة الجامحة،التي تُحطم أمامها كل معترض مهما كان قويا، كما أن لهؤلاء المجاهدين الأفضلية والشجاعة، بعد أن تقدموا إلى الأمام خائضين معركة الحياة ضد المحتل. وعلى وعلى هذا

الأساس وصف الشيخ العربي التبسي في افتتاحية البصائر ليوم الثامن عشر فيفري 1955 المجاهدين بأنهم رجال تململوا و تحركوا ، ودبت فيهم روح الحياة الحرة الجامحه التي تحطم أمامها كل معترض، مهما كان قويا، وتقدموا إلى الأمام يخوضون معركة الحياة [21].

ومع مطلع سنة 1955، وبعد التحاق الشهيد عبان رمضان بالثورة، أرسل هذا الأخير الشيخ حسين بن الميلي إلى الشيخ العربي التبسي من أجل دعوته للالتحاق بجبهة التحرير الوطني، فرد عليه هذا الأخير بأنه دعا إلى الثورة قبل انطلاقتها، وأنه ضد تصرفات بعض أعضاء جمعية العلماء المسلمين، وأشار على الشيخ الميلي بالدخول إلى مكتب الجمعية ليعرض على أعضائها الموضوع، وهو ما حدث فعلا، فرد الأعضاء بأنهم ضد العنف وتساءلوا فيما إذا كانت الجبهة تملك المعدات للقيام بهذه الثورة، فرد عليهم بأن الثورة مثل الفلاح تزرع وتقطف [22].

وتأكيدا لهذا الموقف المؤيد للثورة منذ بداياتها الأولى، عارض الشيخ العربي التبسي، مشاركة الشيخ خير الدين عن جمعية العلماء، في المفاوضات التي دعا إليها الحاكم العام للجزائر، السيد جاك سوستيل في شهر ماي 1955 إلى جانب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، برئاسة السيد فرحات عباس [23].

وكم تأسف الشيخ التبسي وحز في نفسه عدم قدرته على حمل السلاح لمناصرة الثورة، لأن تقدمه في السن وملازمة المرض له منعاه من ذلك، مؤديا واجبه تجاهها من خلال تحريضه للجزائريين و تعبئتهم للجهاد، متخذا من مسجد بلوزداد "بلكور سابقا" منبرا لذلك، وداعيا لجمع الأموال لصالح جبهة التحرير الوطني، معطيا لعموم الجزائريين المثل في الجد والاجتهاد والصبر والاحتساب [24].

وأمام هذه المواقف المتقدمة للشيخ العربي التبسي من الثورة، ومخافة اعتقاله من طرف القوات الفرنسية، وما قد ينجر على ذلك، نصحه السيد عبان رمضان سنة 1956، بأن يغادر الجزائر، إلا أنه رفض هذا العرض، مؤكدا على أن مهمته الأولى والأخيرة والأهم، هي بداخل البلاد لا خارجها، وهو ما جعله قدوة للكثير من الأئمة و الخطباء، وبالمقابل هدفا

أساسيا لسلطات الاحتلال، وكان كثيرا ما يردد: " **إذا كنا سنخرج كلنا من خوفا من الموت فمن يبقى مع الشعب**" [25].

وتماشيا مع هذا الموقف وانسجاما مع قناعاته وأفكاره، ذكر الشيخ في شهر جانفي من العام 1957، وهو في مأدبة عشاء في نواحي العاصمة، بأن الهجرة من الوطن إلى خارجه،، تعتبر مروقا من الدين وخيانة للوطن ما لم يكن المهاجر في مهمة مُكلف بها من طرف جبهة التحرير الوطني، مُذكرا الحضور بأن من يهاجر في هذه الظروف من دون أن يكون مكلفا بمهمة، يدخل في قوله تعالى في سورة الأنفال، الآية 16 " **ومن يولهم يومئذ دُبُره إلا مُتحرفا لقتال أو مُتحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنمُ وبئس المصير**" [26].

وهذه المواقف تعتبر بمثابة الفتاوى التي كان يصدرها الشيخ العربي التبسي، وقد كانت غاية في البساطة والواضوح، استفادة منها الثورة أيما استفادة، ومن غير غموض، فقد رفض أن يخرج هو وأمثاله من أرض الجزائر، مُقدما النصح والإرشاد لمن وجب عليه الخروج، فقد زار برفقة وفد من جمعية العلماء في شهر مارس من سنة 1956، السيد فرحات عباس الذي كان يهم بمغادرة الجزائر والالتحاق بجبهة التحرير الوطني بالقاهرة، وقال له بصفة الناصح الأمين " **أني لا أعلم إذا كُنا سنلتقي يوما ما أم لا ؟ ولهذا أوصيك أن لا تنسى أبدا أن الجزائر مسلمة وأن الجزائريين يقاتلون باسم الإسلام ومن أجله يموتون، ولا ينبغي أن ترجع إلى هذه الأرض حتى تتحرر، وعندما يحين ميعاد إعادة بناء البلاد بمشيئة الله، اجعل الإسلام أساس البناء، والله مُعينك**" [27].

كما كان الشيخ العربي التبسي، رحمة الله عليه، ومثل ما وصفه بعض معاصريه وأقرانه، بأنه صاحب شخصية قوية و صلبة وشجاعة، ومثابرة؛ يبدي رأيه بلا مواربة وبلا خوف وبدون تردد، يدافع عنه ويثبت عليه، مهما كانت الظروف والمعطيات، لم تردعه أساليب الاحتلال و وسائله ولم يقعده تقدم سنه أو مرضه، على مواصلة الدفاع وبحماس، عن قضايا الجزائريين، وعلى رأسها استرجاع السيادة الوطنية [28].

لم يرافع الشيخ التبسي عن القضية الجزائرية وحسب، بل كان ينافح و يدافع عن جميع قضايا الأمة العربية والإسلامية، ومن أبرزها القضية فلسطين، التي اعتبرها قضية جميع المسلمين وأحرار العالم، داعيا ومشجعا للجهاد فيها والدفاع عنها، حتى تتخلص من الاستيطان اليهودي الصهيوني المدعوم من القوى الإمبريالية المتكبرة المتجبرة [29].

إن إيمان الشيخ التبسي بفكرة التحرر والثورة والعمل من أجل انضاج الظروف وسط المجتمع الجزائري، كي يتبناها هذا الأخير ويعمل بمقتضاهما من أجل استرجاع سيادته على نفسه وأرضه المغتصبتين من طرف الاحتلال الفرنسي، إنما هي نابعة من إيمانه العميق بوجود الأمة الجزائرية، التي سعى الاستعمار إلى ضربه في العمق وطمسها والقول بأنها هي من تعمل على بعث الأمة الجزائرية، التي هي خليط من المسلمين والمسيحيين، العرب والبربر والأوربيين بمختلف مشاربهم، وقد بين الشيخ التبسي، في العديد من المقالات التي كان ينشرها في جريدتي النجاح والشهاب منذ العام 1926، ففي مقال له أوسمه بـ" **أزفة ساعة الجماعة وتصرَم عصر الفرد**" ذكر"أن الأمة الجزائرية، أمة شرقية في دينهاولغتها وعاداتها وأخلاقها ومشاعرها ومواقفها... وكان يأمل في تلك المرحلة المبكرة أن يعمل النشء الجزائري بقضه وقضيضه بعزيمة ماضية وحكمة بالغة على إيجاد هيئة تكون رمزا للأمة البائسة ومرآة لحاجتها [30].

وفي الأخير نشير إلى الخطاب المطول الذي ألقاه أمام المكتب الإداري لجمعية العلماء، يوم السابع جانفي 1956، بغية إتخاذ موقف نهائي للجمعية من الثورة، وفي هذا الخطاب يبين مواقف الجمعية ومواقفه من الاستعمار الفرنسي، مؤكدا على محاربة الاستعمار في المواقع الكبيرة، " **فقد حاربنا الاستعمار الظالم بكل وضوح بكل سلاح نملكه، حاربناه في الجزائر في كل مناسبة، وحاربناه في فرنسا، وحاربناه في الشرق، حاربناه جماعات وأفرادا، حاربناه منفردين وحاربناه متحالفين مع غيرنا، في كل مناسبة وجدناها، قضينا في هذه المحاربة ربع قرن كامل، تحملنا في هذه الحرب السجون ودخلنا المعتقلات، وقبلنا الغرامات ورضينا بغضب الاستعمار علينا، وبما يسومنا من ظلمه وعسفه..... وختاما**

أسأل الله أن يشفي العالم من داء الاستعمار، وأن ينزل على بلاده وعباده نعمة الحرية والعيش في ظلال السلام والحق...." [31].

الخلاصة

مما سبق، يتبين لنا أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي تأسست على أنها جمعية تربوية ثقافية، لا سياسية، هي في الواقع والميدان مارست السياسة إلى الأعماق، وخاض رئيسها عبد الحميد ابن باديس ومن بعده البشير الإبراهيمي وغيرهما في شتى مجالات السياسة، ومنها دفاعهم عن الحرية وتمسكهم بمفهوم التحرر واسترجاع السيادة المغتصبة، متحدين سلطة الاحتلال الفرنسي، متعرضين لشتى أنواع العقوبات والتعنيف من سجون واعتقالات وتضييق عليهم وعلىعوائلهم ومؤسساتهم.

ويعتبر العربي التبسي أحد قيادات البارزة لجمعية العلماء الذين عبروا مبكرا وبكل وضوح وجرأة عن آرائهم السياسية، وما يرتبط بها من مضامين ومفاهيم الحرية والتحرر من الاستعمار والاستغلال، للبلاد والعباد معا، ليس فقط في الجزائر بل وللإنسانية جمعاء، وقد سجل هذه الآراء والمواقف من على كل المنابر الدينية والاعلامية، وحتى بتواصله واحتكاكه المباشر مع مختلف طبقات المجتمع الجزائري.

وتماشيا مع قناعاته بالفكر التحرري، كانت له مواقفه من سلطة الاحتلال ومن أداء الحركة الوطنية، ومن ثورة التحرير، فقد حارب الاستعمار بلسانه وقلمه، كخطيب على منابر أو قلم سيال في الصحافة، وعانى من جراء ذلك الكثير من العنت والعسف، وثمن وحدة الحركة الوطنية وانتقد تفرقها وتشرذمها، داعيا إلى تجاوز الخلافات من أجل أن تسترجع الجزائر حريتها وسيادتها، وكان مؤمنا بالعمل الثوري لما يحقق من أفكار التحرر، وداعيا الجزائريين إلى احتضان الثورة الجزائرية والألتفاف حولها حتى تحقق غاياتها وأهدافها في استرجاع الحرية والسيادة...

6. قائمة المراجع:

-المصادر والمراجع باللغة العربية

- بديدة (لزهر)، **رجال من ذاكرة الجزائر**، الجزء الأول، منشورات الرياحين، الجزائر 2013.

- الرفاعي (أحمد شرفي)، **مقالات وأراء جمعية العلماء المسلمين، الشيخ العربي التبسي، الجزء الثالث**، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2011.

- قداش(محفوظ)، **الحركة الوطنية الجزء الثاني 1939 / 1951**، **الجزء الثاني**، ترجمة أحمد بن الباز، دار الأمة، الجزائر، 2011.

- الزبيري(محمد العربي) ، **الثورة في عامها الأول**، دار البعث، الجزائر، 1982.

- الزبيري(محمد العربي) ، **تاريخ الجزائر المعاصر ج 1**، دار الحكمة، الجزائر، 2014.

-المصادر والمراجع الأجنبية:

- Collot (Claude) et Henri (Jean Robert), **Le Mouvemement - National Algerien, Textes 1912/1954,**2ed , OPU, Alger, 1981.

- Mimouni (Abdlkader) ,**Le Manifeste Algerien dans la presse Francaise**, 2ed , Ed. Mimouni. Alger; 1991

-المقالات

-جريدة البصائر العدد الـ03، الصادر يوم 08 أوت 1947.

-جريدة لبصائر العدد 04 بتاريخ 29 أوت 1947.

-**جريدة البصائر**، عدد 08 فيفري 1955.

-**جريدة البصائر** ، عدد 19 جانفي 1956.

- جريدة الشهاب عدد 34، يوم 17جويلية 1926.

-جريد الشهاب عدد31، الموافق لـ17 جوان 1926

- جريدة المنار، السنة الأولى، عدد 08، الموافق لـ 19 أوت 1951.

-جريدة المنار، السنة الثانية، عدد 17، الموافق لـ 06 فيفري، 1953.

-جريدة المنار العدد السابع، 15 أوت1951 .

– الزبيري (محمد العربي)، في ندوة جريدة الشروق اليومي حول العربي التبسي،بعنوان" **العربي التبسي شهيد العلماء وعالم الشهداء** " الشروق عدد 16 أفريل 2010.

–**جريدة النجاح**، أنظر مثلا: عدد 18 ماي 1926

–الأطروحات والرسائل الجامعية:

–جمال قندل، **الثورة الجزائرية، 1954_1956**، أطروحة دكتوراة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، 2013–2014،

7.الهوامش:

[1] – تعرض العديد من قيادات الصف الأول لجمعية العلماء إلى مختلف أنواع الملاحقة والتضييق والاعتقال والسجن، حتى أن قائدها الأول الإمام عبد الحميد بن باديس توفي وهو في السجن يوم 16 أفريل 1940، وخلال مرحلة الحرب الامبريالية الثانية سسجنت سلطات الاحتلال الفرنسي ولمدد متعددة كل من الشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ العربي التبسي وغيرهما.

[2]- **البصائر العدد 04** بتاريخ 29 أوت 1947، وهي تتمة لافتتاحية **البصائر العدد الـ03**، الصادر يوم 08 أوت 1947.

[3]الذي جاء بعنوان" **جمعية العلماء أعمالها ومواقفها**." أنظر محمد العربي الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر ج 1**، دار الحكمة، الجزائر، 2014، ص، 250،251.

[4]–لزهر بديدة، **رجال من ذاكرة الجزائر**، الجزء الأول، منشورات الرياحين، الجزائر 2013، ص، 06 .

[5]أ–نظر مداخلة محمد العربي الزبيري في ندوة جريدة الشروق اليومي حول العربي التبسي،بعنوان" **العربي التبسي شهيد العلماء وعالم الشهداء** " الشروق عدد 16 أفريل 2010.

[6]– **الشهاب عدد 34**، يوم 17جويلية 1926.

[7]–بديدة، مرجع سابق، ص، 09.

[8]–أحمد الرفاعي شرفي، **مقالات وأراء جمعية العلماء المسلمين، الشيخ العربي التبسي، الجزء الثالث**، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2011، ص،11.

[9]– محفوظ قداش، **الحركة الوطنية الجزء الثاني 1939 / 1951**، **الجزء الثاني**، ترجمة أحمد بن الباز، دار الأمة، الجزائر، 2011، ص 1127 ومابعدها.

[10] –Claude Collot/ Jean Robert Henri, **Le Mouvemement National Algerien, Textes 1912/1954,**2ed , OPU, Alger, 1981 PP, 151- 165.- Abdlkader Mimouni ,**Le Manifeste Algerien dans la presse Francaise**, 2ed , Ed. Mimouni. Alger; 1991; PP, 07- 22.

[11] – **شهادة ابنه بلقاسم جدري في ندوة الشروق** ، المرجع السابق. بديدة، مرجع سابق، ص، 12

[12] –نفس المرجعين

[13] –الرفاعي، مصدر سابق، ص، 09/.10.

[14] –الزبيري تاريخ الجزائر، مرجع سابق ص، 256، 257.+**جريدة المنار العدد السابع**، 15 أوت1951 .

[15] – المنار، العدد السابق.

[16] –نفسه.

[17] – **المنار**، السنة الأولى، عدد 08، الموافق لـ 19 أوت 1951.

[18] –**المنار**، السنة الثانية، عدد 17، الموافق لـ 06 فيفري، 1953.

[19] – نفسه.

[20] –الزبيري، جريدة الشروق، المرجع السابق.

[21] –**البصائر**، عدد 08 فيفري 1955.

[22] –الزبيري، جريدة الشروق، المرجع السابق.

[23] –محمد العربي الزبيري، **الثورة في عامها الأول**، دار البعث، الجزائر، 1982. ص. 188.187.

[24] –بديدة، مرجع سابق، ص، 18.

[25] –الرفاعي، مصدر سابق، ص،11.

[26] –جمال قندل، **الثورة الجزائرية، 1954_1956**، أطروحة دكتوراة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، 2013-2014، ص 151.

[27] –نفسه، ص، 158.

[28] –بديدة، مرجع سابق، ص، 20.

[29] –أنظر بعض تلك الشهادات في المقالات التي جمعها الرفاعي، المصدر السابق. وجريدة الشروق، المرجع السابق.

[30] –هذا مقتطف من مقال نشره في جريد الشهاب عدد31، الموافق لـ17 جوان 1926.، وفي نفس السنة نشر مقالات أخرى في ذات المحور في جريدة النجاح، أنظر مثلا: عدد 18 ماي 1926.

[31]-البصائر ، عدد 19 جانفي 1956.